

كان الفنان الجزائري الألماني الراحل Hamid Zénati فنائاً عصامياً علم نفسه بنفسه وعمل بجدية وإتقان عبر الوسائط والأسطح، من المنسوجات والجران والأشياء التي عثر عليها والسيراميك إلى التصوير الفوتوغرافي والأزياء والمنحوتات القابلة للارتداء. ولد في قسنطينة عام 1944 في الجزائر التي كانت لا تزال تحت الحكم الاستعماري الفرنسي، وانتقلت عائلة الفنان إلى الجزائر العاصمة. واستقروا هناك في منزل شيد على مرتفعات بلكور، حيث كان سطح المنزل يطل على البحر الذي أغدق على خيال الفنان وغذاه. في ذلك الوقت، كانت بلكور حياً للطبقة العاملة، تعكس شوارعه صورة مصغرة للمجتمع الجزائري المتنوع، وأصبحت مركزاً سياسياً رئيسياً في النضال الجزائري من أجل الاستقلال. وبلغ Zénati سن الرشد مع استقلال الجزائر عام 1962.

عمل Zénati لفترة كمدرب قبل مغادرة الجزائر سعياً وراء شعور أكبر بالحرية والاستقلال. واستقر Zénati في ميونيخ في منتصف الستينيات حيث ظهرت هناك ممارسته الفنية. أثناء عمله كمترجم، وقضاء ساعات وأيام في انتظار الوظائف عبر الهاتف، بدأ الرسم والتلوين بشكل غريزي على أي مواد كانت تتوفر بين يديه، وهو النهج الذي سيُشكل أسلوبه المميز "الشامل".

ربما تكون أفضل طريقة للتعبير عن الطاقة اللامحدودة التي طبقها Zénati في ممارسته الإبداعية هي قصص زيارته الصيفية إلى الجزائر العاصمة، والتي روتها ابنة أخته Wassila Bedjaoui في مقالتها *Absolute Everything – Memories of Hamid Zénati*. عندما كان يُنادى الفنان لتناول العشاء، كان يهبط الدرج "اثنتين أو ثلاث درجات في المرة الواحدة" ليجلس "كما لو كان على نصف مقعدة، لشدة حرصه على تناول الطعام والعودة إلى غرفته لمواصلة عمله".

يبدأ المعرض في صالة العرض رقم 3 بألوان تشيد بالصحراء الجزائرية، وهي مساحة من السحر والهدوء عاد إليها Zénati طوال حياته، والتي يعتقد أن مناظرها الطبيعية قد أدت إلى ظهور الأنماط الأكثر مثالية. استوحى الفنان أعماله بشكل مباشر من الصحراء، إلى جانب الزخارف والعلامات الجمالية الأمازيغية *Amazigh* والتقاليد الثقافية لسكانها الأصليين مثل *Sahrawi* و *Tuareg* و *Fulani* و *Bedouin*. تتوزع عبر المنصات قطع جاهزة وأوت ومزهريات وأوانٍ مصنوعة مسبقاً، تم طلاء أسطحها وتحويلها بواسطة اللغة التجريدية للفنان Zénati.

تفتتح صالة العرض رقم 4 على عالم *Zénati's 'all-over'*، وتنتقل عبر المناظر الطبيعية والهندسة المعمارية المكونة من منسوجاته المرسومة والمعلقة من السقف والمرسومة على الخطوط غير المرئية لشوارع الجزائر العاصمة. وتحول Zénati إلى الرسم على الملابس والمنسوجات كوسيلة مفضلة له على الرغم من تدريبه على التصوير الفوتوغرافي، حيث منح أعماله المرونة لتكون متعددة الاستخدامات وأدائية وفي حركة مستمرة.

صنع Zénati لوحاته النسيجية باستخدام قوالب الاستنسل المصنوعة يدوياً عن طريق القص مباشرة في الورق أو فيلم بلاستيكي أو شريط ذاتي اللصق بمقص أو شفرة. باستخدام الاستنسل كدليل، كان يقوم بوضع طبقة رقيقة جداً من الطلاء على سطح القماش، ويتركها حتى تجف قبل كي الوجه الخلفي لتثبيت اللون. في كثير من الأحيان، كان Zénati يعرض أو يبيع أو يؤدي عروضاً باستخدام أعماله النسيجية في معارض فنية مؤقتة، أو بسطات في أسواق في الشوارع، أو ملفوفة على الدرابزين، أو معلقة على حبال الغسيل، أو بالاستفادة من التفاعل مع العوامل البحرية.

واستهاماً من "المجالس" أو "غرف الجلوس" المحلية في الجزائر، توفر المنطقة المجاورة للنافذة التي تطل على *Weekday Cross* مساحة لفهم أكثر حميمية لحياة Zénati. مع تعالي الموسيقى من مجموعات الأقراص المضغوطة الخاصة به التي يتم تشغيلها على الراديو، والصور الشخصية التي تحكي رحلاته عبر إندونيسيا والهند وأمثلة من الكتب من مكتبته التي تستشهد بالشعراء الثوريين والسياسيين والمفكرين المناهضين للاستعمار مثل Aimé Césaire و Leopold Sédar Sengho و Habib Tengour.

وخلال حياته، لم يلقَ Zénati سوى القليل من الاعتراف المؤسسي، لكنه ظل غير منزح ومكرساً بلا هوادة لممارسته. وبحلول نهاية حياته، كان قد أنتج أكثر من 1000 عمل، شاهداً على حيويته التي لا تنقطع ونبضه الإبداعي والحدس والخيال الذي جسده. لقد كان عمل Hamid Zénati دائماً تقرير المصير. استقى الرسم من عوالم ولغات وثقافات وآداب وموسيقى وذاكرات متعددة - من منازل وأسفاره - وترجمها جميعاً إلى عالم Zénati الشامل من الألوان والأنماط. وعلى حد تعبير Duro Olowu، ربما كان "النجاح الحقيقي لـ Zénati هو الحرية الإبداعية التي حافظ عليها طوال حياته".